



- المفاوضات بين بلدان المغرب وأوروبا المتوسطة من العصر الوسيط إلى القرن العشرين. جمع النصوص وقدمها حياة عمامو، ليلي مزيان والمهدي جراد (تونس: مجمع الأطرش للنشر والتوزيع)، 2022، 345ص.

- *La négociation entre le Maghreb et l'Europe méditerranéenne du Moyen Age au XX<sup>e</sup> siècle*. Textes réunis et présentés par Hayet Amamou, Leila Maziane et Mehdi Jerad (Tunis: GLD Editions, 2022), 345p.

صدر عن مجمع الأطرش للنشر والتوزيع بتونس، في بحر سنة 2022، كتاب تحت عنوان: المفاوضات بين بلدان المغرب وأوروبا المتوسطة من العصر الوسيط إلى القرن العشرين، وهو في الأصل مجموعة من النصوص المنبثقة عن أعمال الملتقى الدولي الذي عُقد في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، يومي 1 و 2 مارس 2019، فاهتم بتجميع موادها وتقديمها الأساتذة حياة عمامو ويلي مزيان والمهدي جراد. ويأتي هذا الملتقى ثمرة برنامج للتعاون العلمي بين مخبر البحث "المغرب والعالم الخارجي" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك الدار البيضاء بالمغرب ومخبر البحث "تاريخ اقتصاد المتوسط ومجتمعاته بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس."

ويعالج المؤلف كما يظهر جليا من عنوانه مسألة المفاوضات بين بلدان الضفة الجنوبية والشمالية للمتوسط خلال حقب طويلة تمتد من العصور الوسطى إلى القرن العشرين، والتي تنقسم بدورها إلى ثلاث موضوعات فرعية هي:

المفاوضات والمعاهدات: يضم هذا القسم عشر مداخلات بالفرنسية والعربية منها اثنتان تهم الحقبة الوسيطة (حياة عمّامو ومحمد بن عباس، خالد سرتي)، بينما تتعلق البقية بالحقبتين الحديثة والمعاصرة. وركز المؤلفون على دراسة المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين ملوك أوروبا وحكام البلدان المغاربية، مع الاهتمام بتحليل طريقة تحرير المعاهدات وترجمتها واستعمال مفردات مخصوصة ودقيقة، وبتطورها عبر الزمن. وتميزت مداخلة الباحثين حياة عمّامو ومحمد بن عباس الموسومة بـ "مفاوضات الصلح زمن الحروب: فتوح أفريقية والمغرب نموذجا"، بعرضها لنماذج من عقود الصلح المبرمة في مراحل الإسلام المبكر، وتدقيق المصطلحات المستعملة (صالح، نقض العهد، افتتح عنوة) وأطراف الصلح وشروطه. كما انفردت مداخلة الباحث خالد سرتي بعنوان: "المراسلات الدبلوماسية إطار للتفاوض بين الموحدين وجمهورية بيزا نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع هجري/ 12 و 13م" بمقدمة قيّمة أتى فيها المؤلف على الدراسات السابقة في هذا الموضوع واستعرض أهم المصادر الأرشيفية والأدبية التي يمكن الاستفادة منها للتعلم في دراسة جوانب دبلوماسية أخرى.

الفاعلون في المفاوضات: خمس مداخلات تركز على دور الأشخاص والمجموعات في المفاوضات من خلال نماذج تتعلق بالمغرب الأقصى وتونس، وتقديم صورة حول شخصيتهم من حيث الكفاءات المطلوبة والتكوين المعرفي والمسار المهني والدبلوماسي... ولا شك في أن شخصية المفاوض وسلوكه واستراتيجيته تنعكس جميعها بدرجة قوية على سير المفاوضات وملاساتها وكذلك على مختلف المخرجات المنبثقة عنها.

المفاوضات والأعراف السياسية والدبلوماسية: تناولت ست مقالات بالدرس العلاقة بين المفاوضات والمراسيم والأعراف السياسية والدبلوماسية، خاصة فيما يهم الجوانب البروتوكولية وطقوس التفاوض وممارساتها، التي تختلف من ثقافة إلى أخرى، ويمكن أن يترتب عليها خلاف بين المفاوضين، كما يمكن أن تتحول على العكس من ذلك إلى مصدر لتحقيق التبادل والإثراء الثقافي. وفي هذا الإطار، أكد الباحث حافظ بن حسين على أهمية التفاوض حول المراسم والأعراف الدبلوماسية في بعثة سليمان أغا "سفير" باي تونس لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وهو الموضوع نفسه الذي عالجها الباحث المهدي جراد في مقاله بخصوص أهمية المراسم في الممارسات الدبلوماسية عبر دراسته لنموذج مراسلات القنصل السويدي بتونس موليناري.

ونجد في آخر الكتاب ملاحظات ختامية كتبها الأستاذ الصادق بوبكر لخص فيها المحتوى بمقاربة مختلفة، تعتمد تقسيما يستند فيه إلى أربع موضوعات: أولا مسألة وفرة

المصادر وندررتها لدراسة مسألة المفاوضات؛ وقد أظهرت مقالات كل من حياة عمامو ومحمد بن عباس، وخالد السرتي، ونورة اللافي، مدى قدرة المؤرخ على تجاوز مثل هذا العائق، وعلى استغلال الوثيقة أو الوثائق المتوفرة، حسب الوضعيات والإشكاليات المطروحة. ثانياً محتوى المفاوضات، والتي تكون في أغلب الأحيان في هيئة معاهدات ونصوص، بهدف إقرار السلم بين دولتين أو تحرير أشخاص محتجزين من الأسر، أو اتفاقيات تجارية (على سبيل المثال مقال ليلي مزيان حول القرصنة والتجارة بين فرنسا والمغرب خلال الفترة الحديثة). وتعكس مثل هذه النصوص، المفاوضات التي جرت بينهما، من أجل اختيار الترايب اللغوية الملائمة للخصوصيات الدينية والثقافية الخاصة بكل طرف من الأطراف الموقعة على محتويات المعاهدة أو الاتفاق. أما الموضوع الثالث، ويتعلق بأطراف المفاوضات، فقد أوضحت مقالات كل من هند قيراط وفاطمة شلفوح وناجي كشيده ومليكة الزاهدي، وعمر المغيشي وحافظ بن حسين وإبراهيم شهيمي، مدى تنوع مواصفات المفاوضين واختلاف عيّناتهم، بين رجال دين ورجال قانون وعسكريين وتجار وأعوان ديبلوماسيين، وغيرهم ممن قادوا المحادثات مع الطرف المقابل؛ وهو ما يجرنا للحديث عن فن التفاوض الذي يركز على قوامين أساسيين هما معرفة الآخر، والقدرة على التفتن إلى مواطن القوة والضعف لديه من ناحية، وحذق المفاوض للحصول على مبتغاه من ناحية أخرى. وتعرضت أغلب المداخلات (خالد السرتي، جلال زين العابدين، تراكي برباري، عبد القادر كركاي، لوكا لو باسو، نورا لافي، المهدي جراد، حافظ بن حسين) بالتفصيل إلى الظروف التي جرت فيها المفاوضات. كما اهتمت بتسليط الضوء على براعة المفاوض في استغلال عامل الوقت للانتقال من مرحلة إلى أخرى في المحادثة والتفاوض (المهدي جراد)، ومعرفة التوقيت المناسب الذي يجب الإفصاح فيه عن بعض المطالب، أو تعمد السكوت عنها أو الالتجاء إلى طرق المخادعة ووسائلها...

وعلى الرغم من أهمية المواضيع المدروسة، فإن الكتاب لا يخلو من نقائص، تتمثل في غياب مقدمة تأليفية تطرح الإشكالية الرئيسية وما يرتبط بها من تساؤلات فرعية ومنهج البحث وتستعرض الدراسات السابقة وعدم الاقتصار على تقديم عام لمحتويات الكتاب. كما يلاحظ القارئ بسهولة كبيرة أن أغلب المقالات اتخذت اتجاهها واحداً، ولا نجد سوى مداخلات وحيدة تهتم المفاوضات من الجهة الأوروبية (لوكا لو باسو). هذا بالإضافة إلى غياب دراسات مقارنة تهتم عوالم أخرى (الدولة العثمانية، أوروبا الشرقية، العالم الآسيوي) كان من شأنها أن تسهم في توسيع آفاق البحث. ويغلب أيضاً المنهج التاريخي على الكتاب؛ إذ كان بالإمكان الانفتاح على المقاربة الأنثروبولوجية والسياسيولوجية، لا سيما في القسم المتعلق بممارسات التفاوض وآدابه.

ولا يسعنا في خاتمة هذه المراجعة سوى التأكيد على مدى أهمية هذا الكتاب الذي حاول تسليط الضوء على مبحث هام من مباحث التاريخ، ألا وهو التاريخ الديبلوماسي، ويمثل بحق إضافة قيّمة ونوعية للمكتبة التاريخية العربية عامة والمكتبة المغاربية على وجه الخصوص، نأمل في أن تتبعها منشورات أخرى في الموضوع مستقبلاً.

رشاد الاكحل

جامعة قطر، 2713 الدوحة، قطر